المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:02 (2021)، ص155 -166

# بوليبيوس وتاريخ بلاد المغرب القديم

# Polybius and the history of the ancient Maghreb

مراد ريغي

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

Mourad.righi@Univ-mssila.dz

**معلومات المقال**

**تاريخ الارسال:** 2021/05/25

**تاريخ القبول:** 2021/08/01

**الكلمات المفتاحية:**

- ✓ بوليبيوس
- ✓ بلاد المغرب القديم
- ✓ قرطاجة

**الملخص:**

الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على دور المؤرخ بوليبيوس صاحب كتاب التاريخ، باعتباره أحد أبرز المصادر الكلاسيكية التي كتبت تاريخ بلاد المغرب القديم، فعلى الرغم من أهميته كمصدر أساسي في تاريخ المنطقة العسكري والسياسي، إلاّ أنّ ولاءه للرومان وشغفه لخدمتهم، فتح مجالا واسعا للنقاش حول موضوعيته ومنهجه في تناول مجمل المسائل والأحداث التاريخية التي مرّ بها المجتمع المغاربي القديم. وقد كتب بوليبيوس عن التاريخ العسكري للمنطقة من 264 ق. م إلى غاية 146 ق. م، لكن انتصاره للسياسة الرومانية، كان وراء توجيه موقفه حول تاريخ وشعوب المغرب القديم، فراح يمجد كل ما هو روماني ويقلل من شأن كل ما هو إفريقي. ومنه بات من الضروري إعادة البحث والنظر في كثير من المسائل التي وردت في رواياته.

**Article info**

**Received:** 25/05/2021

**Accepted:** 01/08/2021

**Key words:**

- ✓ Polybius
- ✓ Ancient Maghreb
- ✓ Carthage.

**Abstract:**

Ihe aim of this study is to examine the role of the historian Polybius, the author of the history book, as one of the most prominent classical sources that wrote the history of the ancient Maghreb, but his loyalty to the Romans and his passion for serving them opened a wide field for discussion about His objectivity and his approach in dealing with all the issues and historical events that the ancient Maghreb society went through. He wrote about the military history of the region from 264 BC to 146 BC. But his loyalty to the Romans and his victory for Roman politics, was behind directing his position on the history and peoples of the ancient Maghreb, so he glorified everything that is Roman and diminished everything that is African.

**مقدمة**

في غياب مصادر محلية كتبت تاريخ بلاد المغرب القديم، يبقى الاعتماد على المصادر القديمة سواء الإغريقية أو اللاتينية أمرا ضروريا، فقد قدمت لنا هذه المصادر معلومات وافرة حول المجتمع المغاربي القديم في كل جوانبه الحضارية: السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل من أبرزها ما جاء به المؤرخ بوليبيوس محل دراستنا في كتابه التاريخ خلال القرن الثاني قبل الميلاد، لكن ما يثير التساؤل، هو على الرغم من أهميته كمصدر أساسي في تاريخ المنطقة العسكري والسياسي، إلاّ أنّ ولاءه للرومان وشغفه لخدمتهم، كان له الأثر في توجيه كتاباته حول المنطقة، وفتح مجالا واسعا للنقاش حول موضوعيته ومنهجه في تناول مجمل المسائل والأحداث التاريخية التي مرّ بها المجتمع المغاربي القديم.

**1. نشأته**

كان لنشأة بوليبيوس دور كبير في تكوين شخصيته وفي توجيه كتاباته التاريخية، ولذلك بات من الضروري أن نقف على أهم المحطات في حياته، لا سيما الفترة التي قضاها بين أحضان القصر في روما. ولقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولده بين 210 و208 قبل الميلاد، بمدينة ميقابوليس الأركادية في منطقة البيلوبونيز، بعيدا عن كل مناطق التبادل وأهم المراكز الحضارية (أثينا، رودس، كورنثا)، فميقابوليس من جهة كانت عبارة عن مكان يلتقي فيه المزارعون من المناطق المجاورة لبيع منتجاتهم، ومن جهة أخرى كانت مقرا للعائلات المالكة لأوسع الأراضي الزراعية والتي بدورها شكلت طبقة بورجوازية[1].

وبينما لم يكن في مدينته ولا في المدن الأخرى المجاورة مؤسسات كبرى تعليمية، كان بعض الفلاسفة والمفكرين ينتقلون ويقيمون عبر المدن لتبادل الأفكار، فضلا عن دور العلوم الإنسانية والرياضيات والجغرافيا والفلك ففي تحرك وعمل مجالس المدن ومراكزها العسكرية[2]، وكرس بوليبيوس أكثر من عقدين من حياته في الحصول على الخبرة العسكرية والسياسية كرجل دولة آخي، وكان أبوه ليكورتاس (Lycortas) رجل سياسة بارز ومن الموالين لفيلوبومين (Philopoemen) زعيم الرابطة الآخية [3].

وكلف بوليبيوس في عام 170 ق. م بمهمة الإشراف على الرابطة الآخية في ظروف سياسية دقيقة جدا، إذ دخلت روما للتو في حرب ضد بارسي (Persée) ملك مقدونيا، فبعد انتصار الرومان عام 168 ق. م في منطقة بيدنا (Pydna)، تمّ ترحيل 1000 رجل من الآخيين إلى إيطاليا من قبل الرومان، وكان من بينهم بوليبيوس الذي نقل إلى إيطاليا عام167 ق. م [4]، وفي عام 150 ق. م انتقل مرة أخرى إلى بلاد اليونان، لكن سرعان ما استدعي من قبل أصدقائه الرومان، الأمر الذي مكّنه من الاحتكاك بالشخصيات الكبيرة من عائلة سكيبيون، وبالخصوص سكيبيون ايميليان، وشكل كل ذلك بالنسبة له عالما جديدا، فوسع من مراجعه أو بالأحرى كل التصورات التي اكتسبها من منطقة البيلوبونيز الصغيرة، سواء بالنسبة للإنسان أو النظم السياسية، أو على مستوى النشاط العسكري[5].

وسمحت إقامته التي قاربت 16 سنة في روما، بالاطلاع المباشر على الأحداث التي شهدتها منطقة البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة، معتمدا على الأرشيف العام والخاص، فضلا عن تنقلاته عبر إيطاليا وبلاد الغال واسبانيا وإفريقيا، أين رافق سكيبيون اميليان عام 146ق. م في حملته على قرطاجة، وبعدما ثارت العصبة الآخية على روما، كلف بإعادة تنظيم الهيكل الجديد للحكومة في المدن الإغريقية، كما قام برحلة استكشافية في السواحل الإفريقية على إثر تحطيم مدينة قرطاجة. وقد خصّ المؤرخ بوليبيوس العشرين سنة الأخيرة في إعداد كتابه التاريخ، كما سافر إلى مصر وإلى الشرق، ويعتقد أيضا أن سكيبيون ايميليان قد طلبه لمرافقته في مواجهة نيمانس (Numance) باسبانيا عام 133 ق. م، وبعد كل هذه التجارب التي خاضها، جاءت لحظة وفاته حسب بعض المصادر عن عمر قارب 82 سنة[6].

### 2. بلاد المغرب القديم في كتابات المؤرخ بوليبيوس

لم تظهر تسمية المجتمع المغاربي القديم في كتابات المؤرخ بوليبيوس، ولا في بقية المصادر الأخرى الأدبية والكتابية، وحسب الدراسات الحديثة فهي تدل على سكان المغرب القديم، أي كل التجمعات البشرية التي كانت تعيش في شمال إفريقيا، فكان لكل قبيلة أو تجمع بشري اسمه الخاص، ومن مرادفات مصطلح المجتمع المغاربي القديم: اللوبيون، النوميديون والموريون، الأفارقة، البربر، فقد أطلق اسم الأفارقة على السكان الذين يتمركزون في شمال إفريقيا، والذين اخذوا عادة اسم الليبيين عند الإغريق[7].

وعلى العموم كما هو شائع فان كلمة ليبي تطلق على جميع الشعوب – مثلما أشار إليها المؤرخ هيرودوت في الكتاب الرابع – التي عاشت في منطقة شمال إفريقيا، من السرت الكبير إلى المحيط الأطلسي، بما في ذلك الصحراء، ويتفرعون إلى عدة شعوب وقبائل[8]، فالحدود الطبيعية لبلاد المغرب القديم تشمل الأراضي الممتدة من غرب النيل شرقا إلى رأس سولوئيس على المحيط الأطلسي غربا، ومن ساحل المتوسط شمالا إلى التخوم الصحراوية جنوبا[9].

وإذا كان صلب موضوعنا هو تاريخ المنطقة في كتابات المؤرخ بوليبيوس، فذلك ما يقتضي البحث عن الشعوب التي سكنت بلاد المغرب القديم، وعن مختلف الجوانب التي وردت في نصوصه، منها العسكرية والسياسية والاقتصادية والجغرافية، والتي سواء كتب عنها المؤرخ أو ذكرها عرضا عندما كان مهتما برواية تاريخ روما، خلال حروبها ضد قرطاجة، أو ما عرف بالحروب البونية، فنجده مثلا يشير في نصه إلى القرطاجيين والليبوفينيقيين والأفارقة، والنوميد من الماسيليين والمازيسيليين والماكاي والمور[10].

#### 1.2. الجوانب الجغرافية

يتضح لنا أن ما قدمه بوليبيوس حول جغرافية إفريقيا يبقى غير كاف إذا ما قورن بالمؤرخين الذين سبقوه كهيرودوت، وحتىّ الذين جاءوا من بعده مثل سترابون صاحب كتاب الجغرافيا، فقد تحدث في كتابه الثالث عن القارات الثلاثة أسيا وإفريقيا وأوروبا، وذكر أن إفريقيا تمتد من نهر النيل إلى أعمدة هرقل، على حواف البحر الأبيض المتوسط[11]، وأشار إلى قرطاجة في كتابه الأول فقدم لنا وصفا مهما لموقعها في الحوض

الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، باعتباره كان شاهدا على حصارها وسقوطها، فبعد أن حدد موقعها على أحد الخلجان في شبه جزيرة، عزّز وصفه ببعض الأرقام التي توضح أبعادها، كما لم يهمل بعض المدن التي تحاذيها فأشار إلى أوتيكا، وتونس، وذكر حدود الأراضي التي كانت تشرف عليها قرطاجة شرقا، من معابد الأخوين فيلينوسا في السرت الكبرى كحدود فاصلة بين مدينة قورينة الهيلينية وإفريقيا القرطاجية، ومن ناحية الغرب أشار إلى بلاد المور التي توجد على حواف المحيط[12].

ولا ريب كما أشارت الدراسات الحديثة أن الجغرافيا الطبيعية في كتابات المؤرخ بوليبيوس، حول بلاد المغرب القديم كانت أوفر حظ من الاقتصادية، وقد يعزى ذلك إلى أنّ موضوعاته كانت في أغلبها ترتبط أساسا بالعمليات العسكرية، فعند توضيحها وتفسيرها كان عليه أن يشير في كل مرة إلى كل المظاهر الطبيعية، من مواقع وأنهار وجبال وغابات وحواجز، فخلال الحملة التي شنّها القائد الروماني ريغولوس على إفريقيا عام 256 ق م، ذكر السهول والجبال التي كانت مسرحا للمواجهة، والأنهار مثل نهر مجردة، وأشار إلى الصعوبات الطبيعية التي واجهها القائد القرطاجي عبد ملقرت عندما كان يواجه المرتزقة، وإلى سلسلة جبال المنشار التي دارت بها المواجهة بين القرطاجيين والمرتزقة بين 241 – 238 ق.م، أما عن التجمعات السكانية،أو بالأحرى المدن، فقد قدم لنا عددا كبيرا من أسماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: سيكا (الكاف)، قرطاجة، تونس، بنزرت، أوتيكا، حضرموت [13] .

### 2.2. الجوانب العسكرية

لا شك أن المجال العسكري كان في طليعة اهتمامات المؤرخ بوليبيوس، لا سيما حروب روما ضد القرطاجيين، فلا غرابة أن أطلق عليه اسم مؤرخ الحروب البونية، لأنه في الواقع يعتبر المصدر الأساسي في دراسة التاريخ العسكري الذي شهدته منطقة المغرب القديم في الفترة الممتدة من 264 إلى 146 ق. م، فهو الذي بدأ كتابه الأول بسرد أحداث الحرب البونية الأولى من 264 إلى 241 ق. م، إي من عبور روما مضيق مسينا إلى معركة دريبانا241 ق. م، وختمه بتناول ثورة المرتزقة من 241 إلى 238 ق. م[14]، وقد شكلت رواياته حول الثورة أهم ما كتبه المؤرخون القدامى، ثم خصّ الكتاب الثالث لدراسة الحرب البونية الثانية من 218 ق. م، إلى 201 ق. م، فقدم فيها ظروف قرطاجة بعد الحرب البونية الأولى، وظهور آل برقة في إسبانيا بعدما ضاعت صقلية منها، وتطرق إلى إرهاصات الحرب البونية الثانية بعد معاهدة 226 ق. م، وظهور القائد حنبعل وبداية استعداداته للمواجهة ضد الرومان، كما تتبع المؤرخ أدوار الحرب والحملة التي قام حنبعل من إسبانيا إلى إيطاليا إلى معركة كناي عام 216 ق.م [15]، وبدأ يعطينا معلومات – بعد انتقال الصراع إلى إفريقيا – حول الممالك النوميدية، الماسيل والمازيسيل، ودخول ماسينيسا وسيفاكس في الصراع الدائر بين قرطاجة وروما، حيث صارت الأمور أكثر تعقيدا، لا سيما بعد المواجهة بين ماسينيسا وسيفاكس إلى غاية 203 ق.م، أين تم القبض على سيفاكس بعد معركة السهول الكبرى وسيرتا، ثم تحدث عن معركة زاما الفاصلة

202 ق.م بين القرطاجيين والرومان، كآخر معركة في الحرب البونية الثانية، ليتم عقد معاهدة زاما التاريخية عام 201 ق. م[16].

ويمكن الإشارة أنّ المؤرخ بوليبيوس لم يتوقف عن كتابة التاريخ بعدما اكتملت سيطرة روما على العالم، باعتبار ذلك كان هدفه الأول، بل واصل إلى 146 ق. م، ويعزى ذلك لأهمية الحدث والمرحلة التي تدخل في إطار ضرورة مواصلة روما مشروعها التوسعي في إفريقيا، فقد عكف على سرد روايته لمجمل الأحداث العسكرية خلال الحرب البونية الثالثة من 248– 146 ق. م، وأكثر من ذلك كان مشاركا وشاهدا على تدمير قرطاجة كما أشرنا سابقا، فطالما أراد من روما آن تأخذ زمام الأمور في إفريقيا بعد قرطاجة.

### 3.2. الجوانب السياسية

رغم أننا نجد المؤرخ بوليبيوس جاء في كتابه مهتما بموضوع سيطرة الرومان على العالم خلال 53 سنه، إلّا انه لم يهمل في الوقت نفسه مختلف الكيانات السياسية التي رسمت تاريخ منطقة بلاد المغرب القديم، فقد حدثنا عن الممالك النوميدية من الماسيل والمازيسيل، وعن ملوكها من سيفاكس وماسينيسا، وعن بلاد المور، وعن قرطاجة كطرف منافس للرومان في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فبالنسبة للممالك النوميدية هناك إشارة واضحة إلى وجود نظام سياسي ملكي في بلاد المغرب القديم، فنجده يذكر في نصه النوميد من الماسيليين والمازيسيل والمور، وخلال ثورة المرتزقة ورد اسم القائد نارافاس كأحد الملوك النوميد عندما تحالف مع عبد ملقرت القرطاجي، وفي معاهدة زاما 201 ق م بين القرطاجيين والرومان جاءت الإشارة إلى أسلاف ماسينيسا، وهو ما دلّ على وجود نظام قبل مجيء هذا الأخير[17].

ومن الواضح أن اهتمام بوليبيوس بتاريخ المنطقة، جاء بعدما أضحت إفريقيا مسرحا للحروب التي دارت بين القرطاجيين والرومان، فبات مطلوبا من الرومان آن يستغلوا الفرصة، فمن جهة الحرب هناك معناها تهديد أكبر عدو للرومان وهو قرطاجة، ومن جهة أخرى للاطلاع عن كثب بما يمكن فعله في إطار مشروعهم التوسعي في إفريقيا خلفا للقرطاجيين. وفي هذا السياق أشار إلى علاقة سكيبيون بالقائد سيفاكس بعد عبوره إلى إفريقيا عام 204 ق. م[18] .

وفي الكتاب 15 تحدث عن تراجع مكانة مملكة نوميديا الغربية على إثر أسر القائد سيفاكس ونهاية حكمه، بعد انتصار ماسينيسا وتوحيده نوميديا، أما بخصوص النشاط السياسي في تلك المرحلة، فبعد معركة زاما الشهيرة عام 202ق. م، قدم لنا بنود معاهدة زاما 201 ق. م والتي من بين ما جاء فيها، أن يسترجع ماسينيسا كل ممتلكاته وممتلكات أسلافه من مساكن وأراض ومدن[19]، وفي كتابه 36 تحدث عن توتر العلاقات بين قرطاجة وروما وبداية الحرب البونية الثالثة، كما لم يغفل الإشادة بحكم ماسينيسا ودوره في تقوية مملكة نوميديا بعد حكم دام 60 سنة[20]، وأشار في هذه الفقرة إلى أبنائه ومنهم مكيبسا( Micipsa) وغلوسة كملك للنوميد ودوره كوسيط بين سكيبيون الروماني وصدربعل القرطاجي خلال تدمير قرطاجة عام 146 قبل الميلاد[21]. ويتضح بذلك أن التاريخ الذي كتبه بوليبيوس حول المماليك النوميدية ينتهي في 146 ق. م.

أما عن قرطاجة فقد تحدث عن نظامها السياسي ومؤسساتها الدستورية، فبعدما مدح الدستور القرطاجي ورأى بأنه مشابها للدستور الاسبرطي والروماني، أشار إلى تراجع مختلف الميادين في قرطاجة، بعد وصولها مرحلة النضج، وعزى تفوق الرومان على القرطاجيين إلى حكمة المؤسسات السياسية الرومانية[22]، ومن ناحية أخرى بدا واضحا اهتمامه بطابع العلاقات القرطاجية الرومانية قبل نشوب الحرب، وشكّل كتابه الثالث أهم المصادر التي تحدثت عن مختلف المعاهدات التي أبرمتها قرطاجة منذ أول معاهدة عام 509 ق. م، وبعدها معاهدة 348 ق. م "**يقيم الرومان وحلفاؤهم من جهة، والشعوب القرطاجية و الصوريون و الأوتيكيون من جهة أخرى، علاقات صداقة...**". أما عن المعاهدة الثالثة حسب رأيه فهي التي انعقدت 279 ق. م، لأنه لم يعترف بمعاهدة فيلينوس عام 306 ق. م، وجاءت في فترة ظهور القائد الإغريقي بيروس، وهي التي أكدت على ضرورة التحالف والتعاون بينهما[23]، ونجده أيضا بعد تتبعه مراحل الحرب البونية الأولى يحرص على توضيح معاهدة 241 ق. م المعروفة بمعاهدة ليتاتيوس، التي حددت مستقبل العلاقات القرطاجية الرومانية، والتي تغيرت على غرارها الخارطة السياسية لمنطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، أما عن معاهدة 226 ق م فقد اعتقد بوليبيوس بأنها سبب نشوب الحرب البونية الثانية، وأخيرا تحدث عن معاهدة زاما التي انعقدت عام 201 ق م، على إثر انهزام قرطاجة في الحرب البونية الثانية[24].

### 4.2. الجوانب الاقتصادية

لم نلاحظ من خلال نصوص بوليبيوس اهتماما واضحا بالجوانب الاقتصادية في إفريقيا وبلاد المغرب القديم، فلا ريب أنّ أهمية منطقة إفريقيا بالنسبة له كانت تكمن بالدرجة الأولى في العامل العسكري، لأن الحرب كانت في قلب تفكيره وإيديولوجيته، فهي التي تحدد مصير الشعوب والإمبراطوريات في العالم القديم[25]، ومع كل هذا فقد قدم لنا بعض المعلومات تخص إفريقيا وبلاد المغرب القديم، إذ أكد على خصوبة الأراضي ووفرة الثروة الحيوانية فيها، عندما انتقد المؤرخ تيمي الذي أشار إلى أن إفريقيا مغطاة ومغمورة كلها بالرمال وتعاني من الجفاف وغير منتجة، فذكر بوليبيوس وجود أعداد هائلة من الحيوانات من أبقار وماعز وخراف وفيلة، وأسود ونمور، واعترف بغياب ذلك في أوروبا، وبينما نجده يشير إلى أن السكان كانوا رعاة يجهلون الزراعة[26]، نوه بجهود ماسينيسا وما أحدثه من تطور في الميدان الزراعي، فهو الذي أرجع المنطقة منتجة بعدما كان يعتقد أنها عقيمة[27]، وأشار إلى إفريقيا في المعاهدة الأولى التي أبرمت بين قرطاجة وروما عام 509 ق. م، كدليل على أهميتها في البحر الأبيض المتوسط "**ويسمحون للرومان بممارسة نشاطهم التجاري في قرطاجة على كل السواحل الواقعة دون رأس الطيب**"[28].

وفيما يخص قرطاجة العاصمة الإفريقية، فقد أفادنا بمعلومات هامة حول حرصها الشديد في الحفاظ على ما كانت تزخر به من مقومات من جهة، وعلى تطوير علاقتها التجارية مع الرومان من جهة أخرى "**لا يحق للذين يقدمون للتجارة، عقد أية صفقات دون حضور بشير (Heraut)، أو كاتب ضبط (Greffier)، أما بالنسبة لتسديد المشتريات التي تتم بحضور هؤلاء الموظفين، تكون الدولة هي الضامنة للبائع، هذا حول**

**المبيعات التي تتم في سردينيا وفي إفريقيا**". وجاء في المعاهدة الثانية 448 ق. م مؤكدا على رغبة قرطاجة في تمسكها بالشروط التي تخدمها، حيث لا يمكن للرومان ممارسة التجارة أو تأسيس مدن في سردينيا وفي إفريقيا، ولا يسمح لهم بالرسو إلّا للتموين وإصلاح سفنهم[29].

أما في مجال البحرية وصناعة السفن فقد اعترف صراحة بتفوق القرطاجيين في المقارنة التي أجراها بين الجيش القرطاجي والجيش الروماني " **كان من الطبيعي أن يمتلك القرطاجيون سفنا بمواصفات جيدة من حيث التدريب والفعالية، وفي هذا المجال ورثوا [من الفينيقيين] تقاليد عريقة، وتفوقوا على الشعوب الأخرى من حيث المعرفة البحرية ...**". هذا وأضاف أن الو رشات الرومانية لم تكن لها خبرة في صناعة السفن الخماسية، مقابل ذلك كان القرطاجيون سادة على البحر[30].

### 3. موقفه من تاريخ وشعوب المغرب القديم

من الوهلة الأولى قد يثير الانتباه عنوان الكتاب "**بوليبيوس يعتبر مؤرخا رومانيا**"، وهي دراسة نقدية لبعض رواياته حول الحروب التي خاضها الرومان، وقد خلص الباحث أن بوليبيوس يعد من أبرز المؤرخين، فلم يكن يكفيه سرد تتابع الأحداث، بالرجوع إلى أسبابها فحسب، بل يبحث أيضا في الأحداث التي تلتها، فكان مؤرخا محللا وحاكما[31]، وبالنسبة لنا لا غرابة في هذا العنوان حتى وإن كان بوليبيوس إغريقي الأصل، فهو الذي كان ارتباطه بالرومان أكثر من ارتباطه بوطنه الأصلي بلاد اليونان، لا سيما بعد اطلاعنا على حياته وعلى علاقاته مع السلطة الرومانية كأسير في البداية، ثم صديق لرجالات الحكم، ثم مؤرخا ومرافقا وحتى مشاركا في العمليات العسكرية التي باشرها الرومان في إفريقيا، وقد سبق وأن أشاد بصراحة بعض المؤرخين الرومان القدامى بدوره في خدمة السياسة الرومانية، فمثلا نجد المؤرخ شيشيرون يذكر أن سكيبيون اميليانوس كان دائما يناقش تنظيم الدولة الرومانية مع بوليبيوس وبانيتيوس (Panaetius) الإغريقيين نتيجة خبرتهما السياسية،[32] والمؤرخ باتركيلوس Velleius Paterculus في حديثه عن صفات القنصل سكيبيون ذكر أن بوليبيوس كان من بين مرافقيه في روما وفي الحروب التي كان يخوضها[33].

وقد استنتجت كثير من الدراسات الحديثة أنه سعى بكل ما يمتلكه من طاقة لخدمة الفكر الروماني الإمبريالي التوسعي بصفة عامة، فقد رأى والبانك (walbank) أن كتاباته جاءت لتوضيح الكيفية التي أوصلت روما لبسط سيادتها على العالم القديم، ولم يسأل هذا المؤرخ لماذا شكل الرومان إمبراطوريتهم، بل كيف شكلوا هذه الإمبراطورية[34]، فدافع على هذه الفكرة وجعل من صعود روما أمرا منطقيا، فحروبها الخارجية في اعتقاده ناتجة عن بعضها البعض بطريقة متسلسلة ومتتابعة، ولا مانع للرومان أن يستفيدوا من خيرات الشعوب خدمة لمصالحهم[35].

وعندما كان يفسر سبب تمديد كتابته إلى تاريخ 146 ق. م أكّد بأنه لم يكن شاهدا ومرافقا للرومان فحسب، بل كذلك مشاركا وفاعلا أساسيا في الأحداث الهامة التي انتهت عام 146 ق. م، فخلال هذه الفترة ساعد الرومان باعتباره مستشارا عسكريا و سياسيا، وذلك ما شكل دلالة على مولاة تامة[36]، كما أثرت معرفته

اللغة اللاتينية، على فكره ولغته الأصلية، فأصبحت أفكاره مشبعة بالمواقف الرومانية، وكان من نتائج ذلك أن حمل الأطراف الأخرى مسؤولية الحروب، فهو الذي لم ينقد قط سياسة التوسع التي مارستها روما، وبالتالي باتت جل أفكاره أسيرة التوجهات الرومانية [37].

وإذا كانت هذه هي مواقفه الداعمة للرومان، **فكيف كانت تبدو إفريقيا وبلاد المغرب القديم في كتاباته؟** الظاهر أنّ إفريقيا كان دورها يقتصر حسب رأيه في خدمة القوة الكبرى ومصالحها في البحر الأبيض المتوسط، فهي مكمل ضروري لتاريخ التطور الذي يشهده العالم المتحضر، والذي صارت روما تجمعه تحت سيطرتها، فمثلا عندما كتب على الإنسان المغاربي القديم لم يول له اهتماما يذكر، فقدم لنا معلومات مقتضبة عنه، إذا ما قورنت بما جاء به المؤرخ الإغريقي هيرودوت في كتابه الرابع، وهنا يكمن الاختلاف الجوهري بين المؤرخين، فإذا قمنا بمقارنة تخص منطقة ليبيا وإثيوبيا، تبدو القيمة العلمية التي ميزت كتابات هيرودوت عما جاء به المؤرخ بوليبيوس، فهيرودوت عادة ما تغيب عنده التفرقة بين الإنسان المتحضر والبربري، فمثلا نجده يشير في كتابه الرابع إلى السكان وعاداتهم ولباسهم ومسكنهم وطبيعة الحياة عندهم، ويذكر أنّ عادات الدفن مشابهة لتلك التي عرفت عند الإغريق، الذين بدورهم أخذوا عن الليبيين بعض أنواع اللباس، وكذا استعمال العربات التي كانت تجرها أربعة خيول، فكان واضحا أن هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد على اطلاع واسع بأرض إفريقيا والبشر الذين عاشوا عليها، ورؤيته كانت عميقة وإنسانية، موجهة للأفارقة أنفسهم، ولذلك شكل أهم المصادر التي يجب الاعتماد عليها في كتابة تاريخ المغرب القديم، أما الإنسان الذي يهم بوليبيوس في كتاباته هو الإنسان المتحضر (l'homo politcus)، الذي ينتمي إلى دول البحر المتوسط التي خضعت للتأثير الهيليني، وليس الليبي أو الإثيوبي الأسود[38] ووصف الإنسان الإفريقي بالجاهل لعلوم الزراعة عندما أشار إليه بأنه يعيش على تربية الحيوانات الضخمة والمتوحشة[39]، لكن كما هو معلوم أن الإنسان المغاربي قد عرف الزراعة قبل مجيء الفينيقيين، فتكفي إشارة المؤرخ هيرودوت إلى المزارعين الليبيين وإلى بعض أنواع المنتجات التي عرفت بها المنطقة[40]، ولم يتوقف بوليبيوس عند هذا بل أشار إلى شخصية هذا الإنسان عندما تحدث عن رغبة القائد الروماني سكيبيون في استمالة الملك النوميدي سيافكس وفك تحالفه مع القرطاجيين "**كان يدرك أن النوميد لايلتزمون بتعهداتهم**"[41].

كما وصفه بكل أشكال العنف والكراهية عندما تحدث عن ثورة المرتزقة التي حولها لنا هذا المؤرخ إلى أحداث دموية يحركها عامل الثأر والانتقام[42]، ولا يمكن أيضا قبول كل ما جاء به حول الليبيين في هذه المرحلة، فكل المعطيات التي تقدمها المسكوكات تتضارب مع ما قدمه حول الثوار الليبيين كشعب فوضوي وغير منظم، حيث أكدت على وجود تنظيم له أهمية كبرى خاصة على المستوى السياسي، فهذه العملات ليست حالة فريدة بسبب عدم سداد أرصدة المرتزقة، بل الظاهرة لها أهمية أكبر، فهي دليل سلطة وسيادة للثوار[43]، وفي هذا السياق وجدت أفكار بوليبيوس رواجا في العمل الأدبي الذي قدمه الروائي الفرنسي فلوبار بعنوان صلانبو (salambo)، فقد جعل هذا الكاتب من العنف ليس فقط وسيلة الاتصال الرئيسية بين

شخصيات الرواية، بل موضوع الرواية نفسه، ففي سلامبو ورد العنف كلغة أساسية ومدمرة للبشرية[44]، ومن ناحية أخرى نجد بوليبيوس عندما يتحدث عن الايطاليين يرى بأنهم أفضل من الفينيقيين والليبيين في القوة والشجاعة[45]، كما لم يكف عن تقديم النصائح للرومان وقادتهم، في حملاتهم ضد الشعوب الأخرى خاصة الأفارقة، ففي حملة القائد الروماني ريغولوس على إفريقيا تعمد أن يبين مدى سهولة التوسع في هذه المناطق من دون أن يعطي أهمية للسكان "**من السهل الوصول إلى بلادهم، وكل سكان هذه المناطق من طبيعتهم الخضوع والانصياع بدون عناء لأول غاز قادم إليهم** "[46].

وإذا كان هذا السلوك الذي رآه بوليبيوس في الإنسان الإفريقي فهذا يعني أنه جرده من هدف يعيش من أجله ومن وطن ينتمي إليه ويدافع عنه، فطالما وجدت هذه الأفكار في الدراسات الفرنسية إبان السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر فقد كتب القديس جيراردان (Marc Girardin) قائلا: "**منذ زمن طويل إفريقيا مثل المشرق لم يكن لها أصل آو كيان، ولم تكن إلا خاضعة لأسياد، وهؤلاء الأسياد كانوا دائما أجانب، فسواحل إفريقيا على البحر الأبيض المتوسط مثل آسيا الصغرى، وسوريا ومصر، كانت تابعة لكل منتصر**"[47].

وفي الميدان العسكري فلا جدال في معرفته وخبرته العسكرية، ومع ذلك جاء في بعض رواياته إما مخطئا آو مبالغا أو متحيزا للرومان أو الإغريق، فمثلا تدعيمه ومدحه للقائد الإغريقي أغاثوكليس واعترافه بقدراته في الحملة التي شنها على إفريقيا عام 310 ق. م[48] كان غير مقبول، إذ أكد كثير من المؤرخين أن الحملة كانت غير ناجحة، وأغاثوكليس ما هو إلاّ مغامرا فاشلا، وهناك مسألة تثير الاستفهام خلال الحرب البونية الأولى، فمن جهة أشار إلى عبور القوات الرومانية من إيطاليا إلى صقلية، وهو ما يقتضي توفير سفن، ومن جهة أخرى يؤكد على غياب السفن الخماسية في الحظيرة الإيطالية وغياب الخبرة في الورشات الرومانية لصناعة هذا النوع، كما أن استعمالها لم يكن واردا عند الإيطاليين[49] .

أما عن روايته حول معركة ميليس عام 260 ق. م – وهي أول معركة بحرية انتصر فيها الرومان – فقد أثارت كثيرا من الشكوك لدى بعض المؤرخين المحدثين، الذين فندوا حقيقة وجود آلة الغربان التي كانت سبب الانتصار، وحول ذلك أشار الباحث تارن (Tarn) إلى بعض التساؤلات التي تدور حول هذه الآلة، ورأى أنها من بين ما جاء به المؤرخ فابيوس بيكتور وأقحمه في تاريخ الحرب البونية الأولى[50]، ومن ناحية أخرى يتضح لنا أنّ الأرقام التي وظّفها بوليبيوس في معركة إكنوموس255 ق. م، جاءت مضخمة بشكل غير منطقي، لأن المعركة لا تستدعي هذه الأعداد الهائلة، وفي ذلك رأى المؤرخ تيبس أنه لابد من إعادة النظر في هذه الرواية من حيث عدد أفراد الجيوش وسير المعركة[51]، وفي موضع آخر نجد المؤرخ يقدم لنا أرقاما مبالغ فيها وغير مقبولة، عندما قال أن القائد الليبي ماثون في ثورة المرتزقة جمع 70000 من الأفارقة لمواجهة القرطاجيين[52]. ولا غرابة في ذلك لأن كثيرا من الأرقام الواردة في النصوص القديمة لم تكن دقيقة، فهناك رغبة مقصودة في تضخيمها خدمة لأغراض وتوجهات مختلفة.

وفي الميدان السياسي عندما تحدث عن المعاهدات التي أبرمت بين قرطاجة وروما، نجده قد سعى إلى تحميل القرطاجيين مسؤولية الصراع خلال الحرب البونية ألأولى والثانية، فنفى وعارض بشدة وجود المعاهدة الثالثة المسماة بمعاهدة فيلينوس عام 306 ق. م، التي تؤكد على مسؤولية الرومان في نشوب الحرب البونية الأولى، لأن المعاهدة تنص بصراحة على عدم تجاوز القرطاجيين مسينا إلى إيطاليا، وعبور الرومان إلى صقلية[53]، لكن في حقيقة الأمر مجمل الدراسات الحديثة تؤكد وجودها، وبالتالي تقع مسؤولية نشوب الحرب على عاتق الرومان، ونفس الأمر في معاهدة 226 ق. م، التي تمنع على القرطاجيين تجاوز نهر الإيبرو شمالا وتمنع الرومان تجاوزه جنوبا، فقد جعلها سبب الحرب البونية الثانية، وحمّل مسؤوليتها القرطاجيين بعدما عبروا النهر شمالا وغزوا مدينة ساغونت[54]، وذلك ما فندته الأبحاث التاريخية لأنّ مدينة ساغونت التي سيطر عليها حنبعل توجد جنوب النهر ولا بشماله.

وعليه إنّ ما كتبه بوليبيوس وما قدمه من معلومات حول بلاد المغرب القديم أو أفريقيا كان هدفه الأساسي ليس الحديث عن تاريخ هذه الشعوب ودورها الحضاري، بل هو التأكيد للرومان على ضرورة تحقيق الانتصار، واستخلاف القرطاجيين في المنطقة، فالسيطرة على إفريقيا تعني توفير الجنود والأحصنة للحرب والحيوانات لملاعب السرك والمنتجات لتموين روما وجيوشها.

## خاتمة

لقد أسهمت المصادر التاريخية الإغريقية ولا سيما ما جاء به المؤرخ بوليبيوس، في تعزيز وإثراء الدراسات التاريخية لبلاد المغرب القديم، في مختلف الجوانب الحضارية، ولكن تمجيده للرومان وتاريخهم، جعل مسألة الاعتماد عليه واستقاء المعلومات من كتاباته، تستدعي منّا التدقيق والتمحيص فيها، سواء بمقارنتها مع روايات أخرى أو مع ما تقدمه الأبحاث الأثرية التي باتت ضرورية في إعادة بناء تاريخ المنطقة.

## الهوامش:

1 Polybe,(1970), **Histoire**, Trad Roussel, France,Gallimard,pp 14-17.

2 Polybe, p19.

3 . Walbank Frank.(1994), **Polybius and the Roman State**, Duke University Libraries, p242.

4 Polybe, p22.

5 Polybe, pp 23-24.

6 Polybe, pp 26- 33.

7 Polybe, p1212.

8 فنطر محمد حسين، (1999)، **الحرف والصورة في عالم قرطاج**، تونس، أليف.

9 عيساوي مها محمود، (23- 24 ديسمبر 2011). "**إشكالية المنهج والمصطلح في المدرسة التاريخية الجزائرية، مصطلح المجتمع المغاربي القديم نموذجا**"، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة بعنوان آراء ودراسات في التاريخ والآثار، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ص ص 86- 87.

10 Polybe, III,33.

11 Polybe, III,37.

12 Polybe, I,78.

13 Polybe, I,26; I,29; I,65-88; I75.

14 Polybe, I, 1-88.

15 Polybe, III, 1-118.

16 Polybe, XIV; XV.

17 Polybe, III,33; I,78; XV,18.

18 Polybe, XIV,1-10.

19 Polybe, XV,18.

20 Polybe, XXXVI,1-16.

21 Polybe, XXXIII,7.

22 Polybe, VI,51.

23 Polybe, III,22-25.

24 Polybe,62.

25 Guinebaud Simon, (2009), «**Polybe et la guerre de siège** », Figures et Expressions du pouvoir dans L'antiquité,France,Presses universitaires de renne,pp 49-60.

26 Polybe, XII,3.

27 Polybe, XXXVI,16.

28 Polybe, III,22.

29 Polybe, III,22-24.

30 Polybe, VI,52; I,22.

31 Bourgon, (1829), **Polybe Considéré Comme Historien Romain**, ou examen critique des principaux évènement de l'histoire romaine, Strasbourg: l'imprimerie de Mme Ve Silbermann,p46.

32 Céciron, (1864), La République, Trad Villemain, paris, Libraires Academique, I,21.

33 Paterculus,Velleiu,(1924), **The Roman History**, Englaind, Loeb Classical Library,I,13,3.

34 Walbank,(1964),p241.

35 Luce James, (1997), **The Greek Historians**, London, Routledge, pp94-95.

36 Baronowski Donald, (2013), Polybius and Roman Imperialism, London, Bloomsbury Academic, pp132-133.

37 Baronowski,2013, p6.

38 Texier, G. (1976), « **Polybe géographe** », Dialogues d'histoire ancienne, Vol 2, pp399-400.

39 Polybe,1970, XXXVI,16.

40 اعشي مصطفى، (2008)، **أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، المملكة المغربي**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ص ص 82-115.

41 Polybe,XIV,1.

42 polybe, I,65-88.

43 Rahmouni, Lotfi. (1997), «**Monnaies des Mercenaires insurgés contre Carthage entre 241-237 av J- conservées Au Musée National du Bardo et Au Musée National de Carthage**», Africa Serie Reppaal X, p112.

44 Bizer Marc, (1995). « **Salammbô, Polybe et la Rhétorique de la violence** », Revue d'histoire littéraire de la France Armand colin, p988.

45 Polybe, XI, 52.

46 Polybe, I,26.

47 Girardin Marc, (1841), « **de la domination des carthaginois et des romains en Afrique comparée avec la domination française** », Revue des Deux Mondes,tome 26,pp 4-5 .

48 Polybe, XII,15.

49 Polybe, I,20.

50 Tarn W, (1907) « **The Fleets of the first punic war**», The journal of Hellenic Studies.Vol 27, pp 50-51.

51 Tipps G, (1985,) « **The Battle of Ecnomus** », Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, pp432-465.

52 Polybe, I,73.

53 Polybe, III,26.

54 Polybe, III,27-30.